النظرة التكاملية للشباب

في القرآن والسنة

إعداد الباحث

هشام محمود حنفي

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

النظرة التكاملية للشباب في القرآن والسنة

هشام محمود حنفي

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

البريد الإلكتروني: hisham.hanafy70@gmail.com

الملخـــص :

يـدور هـذا البحـث حـول: (النظـرة التكامليـة للشـباب في القـرآن والسُّـنة) ويـندرج تحـت هـذا العنـوان ثـلاث فصـول الفصـل الأول : (الشـباب في القـرآن الكـريم)، ويـندرج تحتـه مبحثـان: المبحـث الأول: (القـرآن الكـريم وأثـره في تنشـئة الشـباب). المبحـث الثـاني: (نمـاذج لـدور الشـباب مـن خـلال القـرآن). الفصـل الثـاني : (الشـباب في السـنة النبويـة المطهـرة)، ويـندرج تحتـه ثـلاث مباحـث: المبحـث الأول: (عنايـة السـنة النبويـة بالشـباب) ، المبحـث الثـاني: (نمـاذج لـدور الشـباب مـن خـلال السـنة النبويـة). ، المبحـث الثالـث: (اهتمـام النبـي الكـريم بمشـاركة الشـباب في القيـام بمصالح المجتمع).

الكلمات المفتاحية: النظرة، التكامل، الشباب، القرآن، السنة.

The Integrative Viewpoint of Youth in the Holy Qur'an and Sunnah

By: Hisham Mahmoud Hanafy
An Imam and Preacher of a Mosque
Ministry of Islamic Endowments

Abstract

The present research is about the integrative viewpoint of youth in the Holy Qur'an and Sunnah. It includes three chapters and a conclusion. The first chapter runs about youth in the Holy Qur'an and it covers two major points; the first traces the impact of the Holy Qur'an upon the upbringing of youth while the second point exposes examples of the role of youth throughout the Holy Qur'an. The second chapter is entitled youth in the prophetic Sunnah and it tackles three outstanding aspects; the first highlights the due attention assigned by Sunnah to youth, the second introduces instances of the role of youth taken from the prophetic Sunnah and the third follows the deep concern of prophet Muhammad peace be upon him to allow youth the chance to participate in the interests of the society. Finally, the conclusion sums up the findings of the research.

Keywords: viewpoint, integration, youth, the Holy Qur'an, Sunnah.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله على نِعَمِه العظيمة وآلائه الجليلة، التي تعالتْ أن تُعدَّ، وجلَّتْ أن تُحْصى، فللَّه الحمدُ سبحانه على ما أعطى وله الشكرُ على ما أولى، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ الرحمة المهداة والنعمة المسداة وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد :

لقد اهتم الإسلام بالشباب أيما اهتمام، واعتنى بهم عناية كبيرة، لأنهم شريان الحياة النابض بالقوة والحركة والقيادة الجادة، كما أن الشباب أكثر إقبالاً على الحق وأكثر عونًا عليه، لأن قلوبهم ما زالت غضة قوية عامرة بتقوى الله، خالية من ماديات الحياة ومن الخبث والمكر، وإن نظرنا نظرة فاحصة في قديم التاريخ وحديثه، ندرك من خلالها أن المبادئ العظيمة والدعوات القوية إنما قامت مرتكزة على عقول الشباب وسواعدهم، فالشباب هم الذين حملوا عبء الدعوات وما صاحبها من تضحيات ومشاق، كما أن القرآن الكريم قد أثنى على فئة من الشباب المؤمن فقال: (**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**)(١)، والإسلام العظيم – قرآنًا وسنة – منح الشباب رعاية وتربية شاملة، وإذا نظرنا إلى عناية الإسلام بالشباب فإننا سنقف أمام عطاء غامر ودروس باهرة تتضافر في إبراز ما للشباب من أهمية، وتوجيههم الوجهة الصحيحة وتربيتهم التربية السليمة، وتعليمهم ما ينفعهم ويؤهلهم لقيادة الأمة وحفظ تراثها.

ومن المعلوم أن الشباب في الإسلام لهم مكانة خاصة وعظيمة لما يقدمونه من بذل جهد وتضحيات، وغالب ما يقوم به الشباب لا يقدر أن يقوم به الشيوخ الكبار، مثل تحَمل المشاق في الدعوة والسفر والقيام على أعمال المعيشة، ولما يمتاز به الشباب من النضوج العقلي والجسدي والقوة التي أودعها الله فيهم.

لذا عند دراستنا للسيرة النبوية نلاحظ أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ قدَّم أسامة بن زيد، وقلده إمرة جيش كان من جنوده مشيخة المهاجرين والأنصار وذوي السابقة في الإسلام، إعلاءً لمعنوية الحِبِّ ابن

الحِبِّ، وهذه تربية عملية من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ لأصحابه رضي الله عنهم.

وعند دراستنا لفصول ومباحث هذا البحث سنجد الكثير من هذه المواقف في حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ لتربيته للشباب، وسنجد أيضاً كثير من آيات القرآن تتحدث عن الشباب ودورهم وأهميتهم في بناء المجتمع وحفظ الدين.

التعريف بالموضوع:

يتناول موضوع بحثنا عن الشباب تحت عنوان (النظرة التكاملية للشباب في القرآن والسُّنة) ويندرج تحت هذا العنوان ثلاث فصول الفصل الأول: (الشباب في القرآن الكريم)، ويندرج تحته مبحثان : المبحث الأول : (القرآن الكريم وأثره في تنشئة الشباب). المبحث الثاني : (نماذج لدور الشباب من خلال القرآن).

الفصل الثاني : (الشباب في السنة النبوية المطهرة)، ويندرج تحته ثلاث مباحث : المبحث الأول : (عناية السنة النبوية بالشباب). المبحث الثاني : (نماذج لدور الشباب من خلال السنة النبوية). المبحث الثالث: (اهتمام النبي الكريم بمشاركة الشباب في القيام بمصالح المجتمع).

الفصل الثالث: (النظرة التكاملية للشباب في الإسلام)، ويندرج تحته ثلاث مباحث: المبحث الأول: (التنشئة الإسلامية للشباب وأثرها على الجانب الأخلاقي والثقافي). المبحث الثاني: (الشباب ومسؤوليته من منظور الإسلام). المبحث الثالث: (دور الشباب في المحافظة على التراث الإسلامي).

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع عدة أسباب أجملها في:

١ـ- محاولة الاقتراب من فكر الشباب في هذا العصر وإبراز مكانته العظيمة في الإسلام.

٢ـ- مشاركة الشباب في حل أزماتهم وأزمات المجتمع الذي يعيشون فيه.

٣ـ- بيان التنشئة الإسلامية الصحيحة السليمة للشباب وكيفية الاستفادة منها.

٤ـ- توضيح ضرورة اقتداء الشباب بالصحابة الكرام الذين كانوا في سِنَّ الشباب في زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ .

٥ـ- توضيح دور الشباب في الحفاظ على التراث الإسلامي.

هدف البحث وأهميته :

ترجع أهمية البحث والهدف منه إلى ما يلي:

١ـ- التماس الأجر من الله تعالى، ثم التقدم بهذا العمل إلى كلية الدراسات الإسلامية والعربية، والذي سيناقش في المؤتمر العلمي الدولي الثالث تحت عنوان (الشباب في عيون التراث)، تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب ـ- شيخ الأزهر الشريف.

٢ـ- لما للموضوع من أهمية بالغة خاصةً في هذا العصر، لأن هذا العصر الغالب عليه عصر الشباب، فأردنا أن نوجه أبصارنا نحو هذا الجيل والأجيال القادمة أهمية الشباب في الإسلام ومكانتهم ودورهم في الحفاظ على التراث الإسلامي والمجتمع الذي يعيشون فيه.

٣ـ- إيجاد الصلة التي تربط بين الدين والدنيا وتصحيح مفهومها للشباب، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة لكثير من الشباب في أن الدين يحول بين الإنسان وبين التفوق في مجال الدنيا والإصلاح المجتمعي.

منهج البحث المُتَّبع :

١ـ- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٢ـ- تخريج الأحاديث النبوية والآثار والحِكم على أسانيدها ما أمكن في غير البخاري ومسلم.

٣ـ- تسليط الضوء على النصوص والأدلة الشرعية والعلمية وتنزيلها على مقتضيات البحث.

٤ـ- متابعة ما يصدر حول الموضوع من بحوث ومقالات في هذا الشأن.

٥ـ- تعريف المصطلحات اللغوية والعلمية.

٦ـ- توثيق الأقوال والنقول.

٧ـ- إجراء مقابلة مع بعض الشباب في وقت كتابة البحث والمناقشة معهم في مشكلاتهم وكيف يتم حل هذه المشكلات، والبحث معهم في دورهم في الحفاظ على التراث الإسلامي وبناء مجتمعهم ومحاربة الأفكار المتطرفة التي تريد فساد الدين والدنيا.

الفصل الأول

(الشباب في القرآن الكريم)

وفيه مبحثان

المبحث الأول: القرآن الكريم وأثره في تنشئة الشباب.

وقبل أن نشرع في هذا المبحث لابد لنا أن نعرف معنى الشباب ومتى تبدأ مرحلة الشباب ومتى تنتهي؟ يقول الله تعالى: (اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ)[1]. كلمة (شباب) تعني في أصلها اللغوي النماء والقوة، والشباب جمع شاب ويُجمع أيضًا على شبان، وشباب الشيء أوله يقال لقيتُ فلانًا في شباب النهار أي في أوله.

متى تبدأ مرحلة الشباب ومتى تنتهي؟ تبدأ مرحلة الشباب بالبلوغ كما جاء في قول الله تعالى : (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)[2]. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها (رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ..)[3] فجُعِل بداية الشباب بلوغ الإنسان، وعلى هذا الأساس فإن مرحلة الشباب تبدأ بالبلوغ والتحديد المختار لمرحلة الشباب هو : من البلوغ حتى سن الأربعين. وسبب هذا الاختيار أن الأصل اللغوي لكلمة الشباب يدل على أمرين : ١ – النماء ٢ – القوة. ونجد في القرآن الكريم أن سن الأربعين داخلة في هذا المعنى وأنها نهاية للنماء، كما في قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)[4].

وخلاصة الأمر نقول بأنَّ الشباب مرحلة من مراحل العمر يمر بها أي إنسان، وتتميز بالحيوية، وهي طاقة متجددة تضفي على المجتمع طابعًا مميزاً، وترتبط بالقدرة على التعلم والمرونة في العلاقات

(١) سورة الروم (٥٤).

(٢) سورة النور (٥٩).

(٣) رواه النسائي برقم (٣٤٣٢).

(٤) سورة الأحقاف (١٥).

الإنسانية وتحَمُّل المسؤولية، والشباب طاقة قومية بما تحويه من قدرات وأفكار وانفعالات منطلقة، وتعتبر هذه الطاقة الإنسانية في الشباب خلاصة مجموعة القدرات الجسمية والعقلية والنفسية التي يولد بها الطفل وتحتاج إلى صقل وتهذيب.

- **أثر القرآن الكريم في تنشئة الشباب:**

وفي ضوء ما نبحث في القرآن الكريم في حديثه عن الشباب سنجد أن القرآن بَيَّن لنا كثيراً من حال الشباب الذين تكلم عنهم من الأنبياء ومن غيرهم، وضرب لنا أمثلةً من أروع الأمثلة في العقيدة والتوحيد والتضحيات، وكيف كانت معيةُ الله مع هؤلاء الشباب وكيف تجاوزا هذه الصعوبات التي كانت في مجتمعهم. وهيَّا بنا نأخذ أمثلة من هذه القصص العظيمة التي هي منهاج ودليل لشبابنا اليوم : وأول ما نبدأ به هي قصة الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكيف واجه بنفسه أهل الكفر والضلال وكانوا قومه آنذاك ولكن هذا لم يمنعه من إبطال الباطل وإحقاق الحق، ولم يمنعه من تسفيه أحلامهم وعقولهم، وانتقاده اللاذع لعبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولم يمنعه من دعوته إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي يمنح ويمنع، ويضر وينفع، وذكر لنا القرآن أنه كان فتى صغير السن في هذا الوقت، قال تعالى : (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)[1]، أي سمعنا شاباً يعيبهم ويتوعدهم يسمى إبراهيم، فهو الذي فعل بهم هذا. قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب، وتلا هذه الآية : (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى)[2]، أما إبراهيم عليه الصلاة والسلام : في تعبير عن البنية الفكرية السليمة، والنظرة الإنسانية التي تصف – فعلاً – صورة تكريم الله للإنسان، والمنهج الذي يضع العقل موضعه ليعمل هو، وينهزم التقليد الأعمى الموروث... أما إبراهيم : فقد نصح قومه، ووضع الحقيقة المعقولة المقبولة المستندة إلى الدليل الناصع بين أيديهم لو كانوا يعقلون. وقد جاء التعبير عن ذلك كله بقوله تعالى (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) الأنبياء (٥٩)،(٦٠).

(٢) (التفسير المنير) للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلي.

الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّـاهِدِينَ)[١]، وقبل أن نختم هذه القصـة الرشـيدة نأخذ منها عدة فوائد: منها : ١ - مكانة الشـباب عند الله عزوجل إذ جعل الله من يحمل رسـالته ويبطل الباطل ويحق الحق وينشـر التوحيد شـابًا، ولم يختاره رجلاً كبيراً أو شـيخًا مُسِـنًّا، لما في الشباب من طاقة وعزيمة وحيوية وقبول سـريع للحق. ٢- الهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم الخوف من العواقب مادام العبد بجانب ربه. ٣- الثبات على الحق وعدم الالتفات إلى الباطل مهما كانت الإغراءات. ٤ - دقة القرآن الكريم في توضـيح أن إبراهيم كان فتى ولو لم تكن لهذه اللفظة أهمية لما ذكرها لنا الله عز وجل، فتعالى القرآن عن التطويل لملء الفراغات، ولكن يريد القرآن أن يشـير إلينا أن الذي يفعل ذلك كله كان فتى صـغير السـن، لما من أهمية قصـوى في هذه المرحلة من العمر في استخدامها لطاعة الله وحفظ دينه.

- **أثر القرآن الكريم في تنشئة الشباب من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام:**

قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَـنَ الْقَصَـصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)[٢]، فذكر سـبحانه وتعالى أن هذه القصـة من أحسـن وأجمل ما قصَّـه الله على نبيِّه، تلك هي قصة يوسف التي فيها من الفوائد والدروس ما لا تحصى العدد. ومن أعظم ما ضربه القرآن لنا من أمثلة في قصة يوسف عليه السلام بدون تطويل شيئان: ١ - (الصبر على البلاء) ٢ـــ- (العفة). فأول ما بدأ به يوسف عليه السلام حياته وشبَّ عليه هو حقد إخوته له وكان هذا سبب حب والده الشديد له، وهذا وحده بلاء، أن إنسـانًا ما يعلم كراهة وحقد إخوته له وأنهم يريدون أن يتخلصـوا منه فهذا بلاء يكفي، ولكن مع هذا كله كان يوسف عليه السلام يبادلهم هذا الحقد بالحب والسماحة، حتى بعد ما فعلوا به ما فعلوا، انظر إلى القرآن الكريم عندما وصـف ما كان عليه إخوة يوسـف، قال تعالى : (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُـصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّـيْطَانَ لِلْإِنْسَـانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ)[٣]، فانظر إلى تعبير

(١) الأنبياء (٥٦).

(٢) يوسف (١).

(٣) يوسف (٥).

القرآن (فيكيدوا لك كيدا)، ومع ذلك لم يقابلهم يوسف عليه السلام إلا بكل خير، وهذا درس عظيم للشباب خاصةً وللناس عامةً ألا وهو مقابلة الشر بالخير، فكثيراً من الشباب الآن لا يملكون هذه الأخلاق الرفيعة، فتجد الشباب لا يملكون طاقةً ولا تحمَّلاً لاستيعاب آبائهم وإخوانهم وجيرانهم، وهذا قصور في الأخلاق وفي تدبرنا لمقصود الشريعة الإسلامية وفي قصص القرآن الكريم، وأيضًا بعد ما فعلوا به ما فعلوا لم يسخط قط إلى ما حدث به وهو كان صغيراً ولكن صَبرَ وثبَّته الله وحفظه من كيدهم. وهذا نتعلم منه كيف يصبر الشباب على ما ينزلُ بهم من بلاءات وعلى ما يواجهونه من صعوبات وتحديات في سبيل دينهم، وعقيدتهم، وحفظ تراثهم، والعمل على النهوض بالمجتمع الإسلامي إلى التحضُّر والرقي وسماحة الإسلام من غير تعنُّفٍ ولا تشدُّدٍ، والعمل على نشر الأفكار السليمة الناضجة من غير أن يلتبس بها تزييف أو تحريف.

وأيضًا من أهم الدروس في قصة يوسف عليه السلام – العِفة – وما أكثر احتياج الشباب المسلم لها الآن، إن ما يُحيط بالشباب الآن من فتنٍ قادرة على أن تطيش بأي ملتزم من على عرش التزامه، ولكن لم يترك لنا الله هذا الباب بل تحدَّث عنه وأطال الحديث فيه لأهميته، قال تعالى : (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)[1]

فانظر كيف بيَّن لنا القرآن حال هذه الفتنة، وكم كانت الإغراءات حول سيدنا يوسف عليه السلام وهو شاب والظروف متهيئة له ولكن رفض وبقوة والتجأ إلى ربه تبارك وتعالى، بل والجميع يعرف نهايتها أنه اختار السجن وفضَّله من الوقوع في هذا الفعل المُبغض، قال تعالى : (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ...)[2]، فصبر يوسف على ما نزل به ولم يلتفت إلى هذه الفاحشة ولم يفكِّر قط في القرب منها بل كان في كمال العفة وهذا درس له أهمية كبيرة في حياة الشباب – العِفة – ، فنقول لابد أن

(١) يوسف (٢٣،٢٤).

(٢) يوسف (٣٣).

يرجع شبابنا اليوم إلى القرآن وإلى قصص القرآن فإنها تربية عملية روحية للنفس، وأن يتعلم الشباب من خلال قصة سيدنا يوسف عليه السلام الصبر على البلاء والعفة والتسامح وكثير من الصفات التي لا يتسع المجال أن نتلكم عنها.

المبحث الثاني: نماذج لدور الشباب من خلال القرآن.

كما تحدثنا سابقًا أن القرآن قصَّ علينا من قصص الشباب من الأنبياء ومن غيرهم، وهذا في رأيي كان لابد منه لئلَّا يأتي في ذهن القارئ للقرآن أو لتفسيره أن هؤلاء الشباب كانوا أنبياء أو سيكونوا أنبياء بعد ذلك فإذن هم معصومون، ولكن قصَّ علينا القرآن من هم معصومون مثل الأنبياء ومن هم غير معصومين مثل سائر الناس، فمن هؤلاء الغير معصومين (فتية أهل الكهف) تلك القصة التي فيها من الفوائد والدروس ما يكفي الكبار قبل الصغار والملتزمين قبل غير الملتزمين، هذه القصة ذكرها لنا الله سبحانه وتعالى في مطلع سورة الكهف، قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا)[1]، ومن الدروس التي نتعلمها من قصة هؤلاء الفتية، هو (إصرارهم على التوحيد)، وكما ذُكر في تفسير هذه الآيات أنهم كانوا في مجتمع وثني لا يعبد الله وحده ولكن هم مَن ثبتوا على التوحيد، ولم يتركهم أهل مدينتهم ولا حاكمها، بل أكرهوهم على عبادة الأوثان، "روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا في مملكة ملك من الجبابرة يدعو الناس إلى عبادة الأوثان، فلما رأوا ذلك خرجوا من تلك المدينة، فجمعهم الله تعالى على غير ميعاد، فجعل بعضهم يقول لبعض : أين تريدون؟ أين تذهبون؟ فجعل بعضهم يخفي عن بعض؛ لأنه لا يدري هذا علام خرج هذا، ولا يدري هذا علام خرج هذا، فأخذوا العهود والمواثيق أن يخبر بعضهم بعضًا، فإن اجتمعوا على شيء، وإلا كتم بعضهم بعضًا، فاجتمعوا على كلمة واحدة،

(١) الكهف (٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤).

فقالوا : (رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) إلى قوله :(مِرْفَقًا)[1].

فمن أجل كل هذه المجاهدات والتضحيات ذكرهم لنا الله سبحانه وتعالى، لكي يُعلمنا أهمية التوحيد للإنسان وللمجتمع، ولكي يعلمنا أن جميع الأرض ومن فيها لو كانت ضدك وكنتَ أنتَ مع الله بحق الله لن يُخذلك الله وسينصرك، فانظر إلى تدبير الله لهؤلاء الفتية، دبَّر الله سبحانه وتعالى لهم الخروج من المدينة من غير أن يعترض إليهم أحد، ثم وجَّههم إلى الكهف ليختبئوا فيه، وبعد ذلك جاءت المعجزة من الله سبحانه وتعالى أن يناموا ثلاث مائة وتسع سنين، وحفظهم الله تبارك وتعالى من أن يكبروا أو يشِبُّوا، ومن أن يدخل عليهم أحد أو أن يعترض إليهم أحد، (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا)[2]، فلابد أن يتعلم شبابنا اليوم أهمية التوحيد ووظيفته وأركانه، وأنه لا نجاة من عذاب الله إلّا بالتوحيد، فمن أجل التوحيد أرسل الله جميع الأنبياء والمرسلين وكانت وظيفتهم واحدة وهي نشر التوحيد بين الناس، ومهما أُوذي العبدُ من أجل عقيدته وتراثه عليه أن يصبر ويثابر ويقف أمام كل من يحاول في هدم العقيدة والتراث بالحُجَّةِ والبراهين العلمية، وكما أن هذا يا معشر الشباب دور العلماء فأيضًا هو دوركم لأن العلماء لن يُخلَّدوا في هذه الدنيا بل سيرحلوا، فعلى الشباب أن تجلس تحت أقدام العلماء ليتلقَّوا منهم العقيدة الصحيحة والعلم النافع والتراث الحكيم، وينشروه قدر ما استطاعوا ليتَّضح لغير المسلمين ما هو الإسلام وماهي عقيدة الإسلام والمسلمين، وما هي شريعة الإسلام والمسلمين.

- **فوائد من قصة سيدنا يحيى عليه السلام من خلال القرآن :**

قال تعالى : (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا)[3]، ذُكر يحيى في

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) الكهف (١٨)

(٣) مريم (١٢،١٣،١٤،١٥)

القرآن خمس مرات، في آل عمران، وفي الأنعام، وفي مريم، وفي الأنبياء، وكان يحيى تقيًا صـالحًا منذ صـباه، وكان عالمًا بارعًا في الشـريعة الموسـوية ومرجعًا في أحكامها، وصـار نبيًا وهو صـبي، وكان يدعو الناس إلى التوبة من الذنوب[١]. والله سـبحانه وتعالى ذكر في هذه الآيات صـفات كثيرة لسـيدنا يحيى عليه السلام : ١ - الجد والصبر على القيام بأمر النبوة، وأمر النبوة هو الدعوة إلى الله وإلى توحيده وشـريعته، ونأخذ منها دعوة للشـباب بأن يجتهدوا في الدعوة إلى الله والصـبر وتحمُّل المشـاق في سـبيل حفظ الدين والتراث. ٢- كونه ذا حنان، أي محبة ورحمة وشـفقة على الناس، كصـفة النبي صـلى الله عليه وسلم بأنه الرؤوف الرحيم. ٣- كونه ذا بركة ونفع ونماء بتقديم الخير للناس وهدايتهم، ولابد أن تأتي هذه الصفة في كل مسـلم ليس الشـباب فقط، ولكن هي أصـلح وأنفع للشـباب خاصـة دون الكبار، لما يمتاز به الشـباب من قوة جسـدية، فتقديم الخير للناس ومسـاعدتهم والعمل على توفير ما يحتاجه الشـيوخ وكبار السـن من أعظم القربات إلى الله، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله قال صـلى الله عليه وسلم :(خير الناس أنفعهم للناس)[٢].

٤ــ- كونه تقيًا: يتقي نهي الله فيجتنبه، ويتقي أمر الله فلا يهمله. ٥ــ- باراً بوالديه: فلا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين، والله تعالى جعل طاعة الوالدين بعد طاعته مباشـرة، فقال: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)[٣]. وكثير من الشـباب مهمل لهذا الباب ولا يعلم مدى مكانة الأبوين عند الله تعالى، فلذلك من الصـفات التي ذكرها لنا الله تعالى في سـيدنا يحيى أنه باراً بوالديه، ومن هنا نقول ينبغي للشباب أن تعلم أن رضاء الله في رضاء الأبوين وسخط الله من سخط الأبوين ولن تقوم أمة ولن تقوم شـبابها إلا إذا حافظنا على القيم والأخلاق والتأدب مع الكبير والصـغير ونشـر هذه التعاليم السمحة التي لم يتركها لنا الإسلام بل نص عليها وعلى أهميتها وعلى تشنيع من أهمل فيها. ٦ــ- لم

(١) من كتاب التفسير المنير للدكتور وهبه الزحيلي.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

(٣) الإسراء (١٧).

يكن جباراً متكبراً : بل كان ليِّن الجانب متواضعًا، وذلك من صفات المؤمنين، وقد أمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)[1]، وقال : (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)[2]، فالتواضع ولين الجانب أساس قبول الأعمال، فهو جزء من الإخلاص، فلابد للعبد أن يتواضع لله تعالى مهما علا شأنه ومنزلته لأن الذي أوصله إلى هذه المنزلة هو الله سبحانه وتعالى. وكثير من صفات سيدنا يحيى عليه السلام في أكثر من موضع تُبيِّن لنا ما هي أهم الصفات التي لابد أن يتحلَّى بها الشاب المسلم، وأن يكون أُنموذجًا ناضجًا صحيحًا واعيًا يسير على هدي القرآن وعلى هدي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم للشباب مثله ومن هم دونه سِنًّا، وأن يكون قدوة لغيره، لأن الشباب لا تتأثر غالبًا إلا بالشباب مثلهم.

وفي خِتام هذا الفصل نقول أن القرآن لم يهمل جانب الشباب، بل ركّز على عوامل نهضة الشباب فكريًا وعقديًا واجتماعيًا وأخلاقيًا، ووضَّح لهم ما تنصلح به دنياهم وأُخراهم، وبيَّن لهم الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وأنه موصل إلى الله تعالى وإلى رضاه والجنة، وبيَّن لهم دورهم تجاه المجتمع وحفظ الدين والعقيدة والتراث، وبين لهم نماذج ناجحة ومتميزة من الشباب من الأنبياء ومن غيرهم، لكي يكون لنا مصدر ومرجع ومنهج نسير عليه سيراً صحيحًا كما سار عليه مَن قبلنا.

- **فوائد من قصة سيدنا إسماعيل عليه السلام من خلال القرآن :**

ومن أجل الشباب لا ينبغي لنا أن نختم هذا الفصل بدون أن نذكر قصة إسماعيل عليه السلام، ذلك الشاب اليافع الكامل الذي ضرب لنا وللشباب مثالاً من أروع الأمثلة في الامتثال لأمر الله والانقياد لحكم الله وقدره دون تردُّدٍ، قال تعالى في شأن إبراهيم وولده : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *

(١) الحجر (٨٨).

(٢) الإسراء (٣٧).

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ)[1]، ففي مطلع هذه الآيات : يخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأذاقهم لباس الخزي، في أعقاب يأسه من إيمانهم وقد أصروا على عنادهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظام الدالة على صدقه، هاجر من بين أظهرهم، ودعا مولاه عز وجل أن يهبه أولاداً صالحين مُطيعين ينقادون لأمر الله، يكونون عِوضًا عن قومه وعشيرته الذين فارقهم لله، وفي سبيل الله، فلما بلغ الغلام الحليم السعي مع أبيه، حيث شبَّ وترعرع، وأطاق مشاركة أبيه فيما يفعله من السعي والعمل: كان الاختبار الإيماني العميق... أجل لقد جاء الاختبار من السماء، والغلام الذي كان ملء السمع والبصر لوالده الذي رزقه الله بعد أن كبرت سِنُّه ورقَّ عظمه: يدرج رويداً رويداً على عتبة الشباب، لقد رأى إبراهيم عليه السلام فيما يرى النائم ورؤيا الأنبياء حق أنه يذبح ولده الوحيد، فلما بلغ معه السعي، والذي أطل على ينبوع الشباب المتدفق في عمر فتى من عمر الشباب واعتبر الخليل عليه السلام الرؤيا أمراً إلهيًا بالذبح؛ وما كان لرسول من رسل الله وهو يبلغ رسالة الله أن يحول دونه ودون إنفاذ أمر الله به شيء، وأعلمَ إبراهيمُ إسماعيل بالأمر ليكون أهون عليه، وليطمئن إلى جلده وعزمه وهو في هذه السن على طاعة الله تعالى والانقياد لحكمه والامتثال لأمر أبيه، وما كان من إسماعيل عليه السلام إلا أن امتثل لأمر الله وأمر أبيه دون تردد، قال تعالى : (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)، إنها الكلمة التي عمِلت عملها في تاريخ العقيدة وحَمَلَتِها من الرجال والنساء وبناء الإنسان!! هكذا : يا أبت امض لما أمرك الله من ذبحي؛ فأمر الله لا خيرة للمؤمن فيه، وسأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل الذي أمره كله حكمة، وفي إنفاذ أمره الثواب الجزيل. وشباب إسماعيل الوليد يذكرنا بالشباب، وقوة نفسه المتصلة بالله، ونورُ قلبه المشرق بالعقيدة، يذكرنا بما يجب في أعناقنا لفتياننا وفتياتنا على محور الشباب؛ من حشد الإمكانات المتاحة لتكوينهم جميعًا، تكوينًا يجمع إلى صفاء العقيدة التي هي القاعدة الصلبة في البناء، نقاء الفكر وسلامة البنية، من أجل أن يكونوا جميعًا -ذكوراً وإناثًا- على المستوى الذي تعدُّهم الأمة لتبوُّئه، فيسهموا في إعادة الأمور إلى نصابها، وتكون هذه الأمة متبوعة لا تابعة تُعمِّرُ الأرض، وتبني الحضارة المُثلى، طاعةً لله.

(١) الصافات (١٠٧،٩٩).

الفصل الثاني

(الشباب في السُّنة النبوية المطهرة)

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول : عناية السنة النبوية بالشباب.

كما ذكرنا آنفًا أن الشباب مرحلة عمرية يمر بها الإنسان، وهذه المرحلة من العمر هي أهم المراحل لما تتميز به عن غيرها، لذا فقد عني النبي صلى الله عليه وسلم بهذه المرحلة من العمر عناية خاصة، ووجهها للخير والبناء، وجنَّبها الشر والهدم، ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم يهدف إلى بناء أمة لا تعرف الوهن والكسل، بل تحرص على الخير والعمل من أجل رفع راية الإسلام ورفعتها، وشباب المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى أن يتعرفوا على مدى حرص حبيبهم صلى الله عليه وسلم في بناء الشباب فكريًا واجتماعيًا وخلقيًا، ويعرفوا أن دينهم دين التجديد والتطور، وأنه صالح لكل زمان ومكان. والمتأمل في سيرته العطرة وأحاديثه الشريفة صلى الله عليه وسلم سيجد اهتمام كبير منه صلى الله عليه وسلم لتربية الشباب تربية صحيحة سليمة وسطية، وهذا ما نتناوله إن شاء الله تعالى في هذا المبحث.

ومن أهم ما اعتنى به النبي صلى الله عليه وسلم في جانب الشباب:

١- "غرس الإيمان في نفوسهم" وحتى لا ينحرفوا عن منهج الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال : (سَبعةٌ يُظلهمُ اللهُ في ظلهِ يوم لا ظلَ إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد...)[١](١). فنجده صلى الله عليه وسلم خصَّ الشباب لكونه مَظِنَّةَ غلبة الشهوة لما فيه من قوة الباعث على متابعة الهوى، فإن ملازمة العبادة مع ذلك أشد وأدل على غلبة التقوى، إن في الحديث حثٌّ للشباب للإقبال على الله عز وجل، والنشأة في عبادته من مقتبل عمرهم وريعان شبابهم، وبذلك يستحقون هذه المكانة الرفيعة.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

٢- "الأخذ بالأسباب ثم التوكل" عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه وكان غلاماً في ذلك الوقت. فقال صلى الله عليه وسلم "يَا غُلَام إِنِّي أُعلِّمُك كلمات احفظ اللهَ يَحْفظْكَ، احفظ الله تَجِدهُ تُجاهك، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجَفَّت الصحف"[١].

فنجدُ في هذا الحديث العظيم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أن ابن عباس أهلاً للوصية مع صغر سِنِّه، فوصَّاه بهذه الوصية النافعة، وأمره بأن يكون مُطيعًا لربه، مؤتمراً بأوامره منتهيًا عن نواهيه، وأن يعمل له بالطاعة ولا يراه في مخالفته، فإنك تجده تجاهك في الشدائد، ثم أرشده إلى التوكل في أموره على مولاه، وأن لا يتخذ إليها سواه ولا يتعلق بغيره في جميع أموره ما قَلَّ منها وما كثُر، وأن يعلم أن كل شيء بيد الله عز وجل، فلا يملك أحد الضُّر ولا يملك أحد النفع إلا بإذن الله تعالى، وهذا درس عظيم في التربية العملية من النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يترك النبيُّ صلى الله عليه وسلم فرصةً إلا وينصح ويفيد ويُعلِّم غيره، لم ينظر النبيُّ صلى الله عليه وسلم لصغر سِنِّ ابن عباس ولكن نظر في أهمية الأمر وأنه سَيَعِي هذه الوصية، وهذا أمر هام جداً للآباء والأمهات في تربية أبنائهم وتوعية شبابهم.

٣- "الحثَّ على اغتنام العمر والصحة" عن ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال (اغتنمْ خمسًا قبل خمس : حياتَك قبل موتِك، وصحتَك قبل سقمِك، وفراغَك قبل شغلِك، وشبابَك قبل هرمِك، وغناك قبل فقرِك)[٢](١)، ومعناه أن هذه الخمس هي أيام العمل والقوة والإكثار من الطاعات، فمن فاته العمل فيها فلن ينفع الإنسانُ عندها الندم على ما فرّط في زمن القوة، حيث إن بعد القوة ضعف، وبعد الشباب الهِرَم، وبعد الصحة المرض، فمن فرَّط في أيام

(١) رواه الترمذي في سُننه.

(٢) (صحيح) الجامع الصغير للسيوطي.

شـبابه فلا يمكنه تدارُك ما فاته في أيام كبره، وفي الحديث حثٌّ عظيم على اغتنام الفُرص في زمن المُهلة قبل أن يأتي الوقت الذي يندم فيه الإنسان على ما قصَّر. فاستغلّ أيها الشاب هذا الوقت لأنه وقت القوة والنشاط وصحة البدن، وهذا بخلاف ما يقوله بعضهم أنني افعل ما أشتهيه الآن ثم عند الكبر أتوب، فهذا مخالف لإرشاده عليه الصلاة والسلام، كما أنه فعلٌ قبيح وما يُدريه أنه سيبقى حتى الكِبر؟!، وأيضاً ما يُدريه بأنه يوفق للتوبة حينها بل قد تكون معصية من المعاصي سبباً لعدم توفيقه إلى التوبة بل سبباً لهلاكه، فانظر حفظك الله كيف يتلاعب الشيطان بعقول الشباب وهم في غفلة. والشباب رمز النشاط وقوة الأعضاء على العبادة، فليذكر سرعة زوالها وأنها نومة لا يندم إلا بعد يقظته منها، ونذكر الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو بن العاص : (لمَّا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقرأ القرآن كله في ليلة، فدعاه فقال : اقرأه في شهر، قال : إني أستطيع أكثر من ذلك، قال : اقرأه في عشرين ليلة، فقال : إني أستطيع أكثر من ذلك، وهكذا حتى نزل معه إلى ثلاثة أيام) وهو يقول : إني أستطيع أكثر من ذلك[1].(٢). أي غداً يأتيني الكبر ولا أقدر أن أقرأ، فكان يغتنم شبابه لهرمه، وكان يستطيع أن يُصلي شيئاً من الليل، ويستطيع أن يصوم بعض الأيام، ويستطيع أن يكتسب ويتصدق، فلما جاءه الهرم عجز.

المبحث الثاني: نماذج لدور الشباب من خلال السُّنة النبوية.

وكما تحدثنا آنفاً أن الشباب هم عماد النهضات، وأهل العزائم والشجاعة والإقدام والتضحيات، وقد كانوا حَمَلة الدعوة الإسلامية الأولى وأنصار الحق، فإن عامة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من الشباب، حين كذَّبه معظم شيوخ مكة!!. وحين نقرأ سير أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نجد أن معظمهم كانوا من الشباب، فأبو بكر الصديق كان من أكبر الصحابة، أسلم وعمره (٣٨) سنة، فكيف بصغار الصحابة؛ كعليٍّ، ومصعب، والأرقم، وأبي جندل، وغيرهم. ويكفي أن نقرأ هذا النص

(١) (صحيح) سنن أبي داود.

من تهذيب سيرة ابن هشام حتى نعلم كم كان للشباب دورٌ عظيم في حمل رسالة الإسلام والجهاد في سبيلها: "وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ - يوم أُحد - سَمُرة بن جندب، ورافع بن خديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسَ عشرة سنة، وكان قد ردَّهما، فقيل له : يا رسول الله إن رافعًا رامٍ فأجازه، فلما أجاز رافعًا قيل له : يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعًا فأجازه، وردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمر بن حزم، وأُسيد بن حضير، ثم أجازهم يوم الخندق وهو أبناء خمس عشرة سنة".

والآن إلى نُبذ يسيرة من أخبار بعض شباب الصحابة رضي الله عنهم. **علي بن أبي طالب رضي الله عنه**: بدأ يعيش في كنف النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في السادسة من عمره، ويتأدب على يديه، ويتعلَّم من معالي الأخلاق، ونزل الوحيُ وكان علي في العاشرة من عمره، فسابق إلى الإيمان، لم يعرف اللهو واللعب فضلاً عن السجود لصنم، لقد اختاره الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم على التوحيد والطُّهر والسمو. ومنذ أيام البعثة الأولى كان علي يصحب النبي صلى الله عليه وسلم إلى شعاب مكة يُصلِّيان معًا في خفية عن أعين قريش، وعرف دخائل حياة النبي صلى الله عليه وسلم فأحبه كل الحب، وأُعجب به كل إعجاب. وقد منحه الله تعالى قلبًا زكيًا، وعقلاً متفتحًا، وذاكرة قوية، وذكاءً وقَّاداً، واعتاد على الزهد والتقشُّف، حتى إنه بعد زواجه من فاطمة رضي الله عنها، شَكَت فاطمةُ ما تلقى من أثر الرحى، وأُتيَ النبي صلى الله عليه وسلم بسبْي، فجاءت تطلب منه من يخدمها من السبايا، وجاء النبي صلى الله علي وسلم عليًّا وفاطمة وقال لهما: (ألا أُعلمكما خيراً مما سألتموني؟ إذا أخذتما مضاجعكما تُكبران أربعًا وثلاثين، وتُسبحان ثلاثًا وثلاثين، وتحمدان ثلاثًا وثلاثين...)[1].

ويوم خيبر قال صلى الله عليه وسلم : (لأُعطين الراية رجلاً يُحب الله ورسوله، ويُحبه الله ورسوله...)، ودفع الراية إلى عليٍّ رضي الله عنه، ففتح الله عليه[2]. ويوم الهجرة كان الفدائي الذي نام في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمره يومئذ (٢٣) سنة، وعرَّض نفسه للقتل ونقمة قريش، ثم

(١) رواه الشيخان.

(٢) (رواه مسلم، وأحمد، والترمذي).

أكرمه الله بأن جعل على فراشه فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم. ومناقبه رضي الله عنه كثيرة لا نستطيع أن نُحصيها هنا، لكن أشرنا إلى أهم محطات حياته وما قام به دفاعًا عن هذا الدين ودفاعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكما ذكرنا آنفًا أن منذ صغره وهو يُدافع عن الإسلام إلى أن استشهد دفاعًا أيضًا على الإسلام، فعاش حياته كلَّها مُدافعًا عن الإسلام والمسلمين. فلنأخذ القدوة الحسنة للشباب من هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه، كيف وَطَّن حياته ونَذَرَها لله تبارك وتعالى، كيف ضحَّى بنسبه الزكي وبلده الطاهرة – مكة – وترك كل ذلك وهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكم كانت شجاعته في قتاله مع العدوّ؟ وكم كانت رحمته بالمسلمين، إنه شابٌّ بطل يافع، عاش حياته كلها مُدافعًا عن راية الإسلام، ولم ينظر إلى نفسه قط، بل كان شغله طوال حياته كيف يُرضي الله ورسوله ويكون أداةً تُستخدم لنشر دين الله في الأرض وإعلاء كلمة التوحيد، والله إنها لحياة كريمة طيبة، ما أجمل وأرقى وأسمى من أن يعيش العبد قريبًا من ربه تبارك وتعالى، يضع نفسه أداة لحفظ دين الله وحفظ تراث الأمة وإعماراً في الأرض.

الزبير بن العوام رضي الله عنه : أسلم وهو ابن ستة عشر سنة. إنه حواريّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن عمته صفية، وأول من سلَّ سيفه في سبيل الله، وكان فارسًا مِغواراً، لم يتخلَّف عن غزوةٍ واحدة، وكان يُسمي أبناءه بأسماء الشهداء من الصحابة رضوان الله عليهم. تلقى التعذيب على دينه، من عمه، فكان يصبر ويقول: "لا أرجع إلى الكفر أبداً"، وهاجر إلى الحبشة، وكان في صدره مثل العيون، من كثرة الطعن والرمي، وقَتَلَ عمه نوفل بن خويلد بن أسد يوم بدر. وفي الخندق قال صلى الله عليه وسلم: ("من يأتيني بخبر القوم" فقال الزبير أنا، فذهب على فرس فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية ففعل، ثم الثالثة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "لكل نبي حواري، وحواريِّ الزبير")[1](٢). وكانت له شجاعة نادرة في اختراق صفوف المشركين يوم حنين ويوم اليرموك واليمامة، وكان له دور عظيم في فتح حِصن بابليون، وتمكين عمرو بن العاص من استكمال فتح مصر، وكان كريمًا سَخيًّا، يُكثر الإنفاق في سبيل الله، وهذا قليل من كثير من حياته رضي الله عنه، لأن حياته كلها مليئة بالتضحيات

(١) (رواه الشيخان).

والمواقف الباسلة التي وضع نفسه وحياته فداءً لهذا الدين، لذا لم تكن مكانته هذه من قليل، ولم تأتي من فراغ، بل تعِب واجتهد كثيراً لمرضاة الله عنه ولحبه الشديد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأرقم بن أبي الأرقم: صاحب أشهر دار في الإسلام. صحابيٌّ جليل، كان من أعيان قريش وأفضل رجالها حسبًا ونسبًا، تحوَّلت داره إلى أهم مراكز الدعوة الإسلامية في مرحلتيها السرية والعلنية، كان من أوائل من اعتنقوا الإسلام ملبيًا دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، شارك في جميع غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وبعض السرايا التي أطلقها، كان سابع سبعة دخلوا الإسلام وكان عمره حين أسلم سِتةَ عشر عامًا، وبذل الغالي والنفيس لنصرة الدين، حيث كان معروفًا بالثراء، هاجر الأرقم إلى المدينة، وعاصر الخلفاء الأربعة – أبو بكر وعمر وعثمان وعلي – رضي الله عنهم، وماتوا وهم راضون عنه، وأسلم عددٌ كبير من الصحابة الكرام في بيته رضي الله عنه، منهم "علي بن أبي طالب، وخبَّاب بن فهيرة، وعامر بن فهيرة، ومعمر بن الحارث، وواقد بن عبدالله، وعثمان بن مظعون، وكذلك الزبير بن العوام، وأبي عبيدة بن الجراح، فيما شهدت الدار كذلك إعلان إسلام فاروق الأمة بعد الوقائع التي جرت في بيت الصحابي سعيد بن زيد زوج شقيقة ابن الخطاب ــ- فاطمة ــــــ. ومن أسباب اختيار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لدار الأرقم مقراً للدعوة، أنه كان فتىً صغيراً عندما أسلم، إذ أنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة، فضلاً عن أنَّ دار الأرقم كانت على جبل الصفا المنعزل تقريبًا عن أهل قريش، وكانت كذلك قريبةً من الكعبة المشرفة. ولو استطردنا القول في شأن هذا الصحابي الجليل ونظرنا في حياته وتضحياته لن يَكْفِنَا خمسون ورقة، ولكن نقول أيضًا بإيجاز أن هذا الصحابي بدأ حياته في الإسلام وهو صغير وتربَّى على التضحيات، فانظر كيف فتح بيته ووهبه لله تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وليكون مركزاً للدعوة، بل كانت أول مدرسة في الإسلام، كان الرسول صلى الله عليه يُعلِّم من خلالها كبار الصحابة مبادئ الدين الإسلامي والعقيدة والعبادات، ويوضح لهم سبل الدعوة إلى الله بعيد عن أعين قريش في مرحلة الدعوة السرية، فهذه تضحية كبيرة تحتاج إلى إيمان كبير وراسخ في القلب، إذ أنه كان شابًّا ولديه حياته ومتطلباته ولكن لم يلتفت إلى هذا كلَّه، بل وهب حياته لله عزوجل، الصحابي الجليل لم يتخلَّف يومًا عن الجهاد، بل

وشارك في جميع الغزوات، ومنها بدر وأُحد، وتقديراً لهذا أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم داراً بالمدينة وأسند إليه الإشراف على بيت الصدقات. إذن تلك هي الحياة التي يرضى الله عنها، بعيداً عن سبل الشيطان وهوى النفس، ونحنُ نحتاج من شبابنا اليوم أن يقتدوا بمثل هؤلاء الرجال، وأن يسيروا على خُطاهم، لأن بهؤلاء الرجال حُفظ الدين حتى وصل إلينا نقيًّا.

الصحابية المجاهدة ذات النطاقين: إنها (أسماء بنت أبي بكر الصديق)، صحابية بنت صحابي وحفيدة صحابي وزوج صحابي (هو الزبير بن العوام) وأُمّ صحابي (عبد الله بن الزبير)، وأخت أُمّهات المؤمنين (زوج النبي صلى الله عليه وسلم: عائشة الصِّدِّيقة)، رضي الله عنهم أجمعين.

كان عمرها يوم أسلمت أربع عشرة سنة، ولم يكن قد سبقها إلى الإسلام إلّا ستة عشر صحابيًا وصحابية، وعندما هاجرت إلى المدينة كانت حاملاً، وحين وصلت إلى قُباء وضعت ابنها عبدالله، فكان أول مولود للمهاجرين في المدينة، وكان أول ما دخل جوفه ريقُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقد حنَّكه ودعا له. وكانت من الجود والكرم بما يُضرَبُ به المثل، فكانت لا تمسك شيئًا إلى الغد، وكانت عاقلة مُضحِّية، فحين خرج أبوها مهاجراً بصحبة النبي صلى الله عليه وسلم حمل معه ماله كلَّه، ومقداره (٦٠٠٠) درهم، ولم يترك لعياله شيئًا فلما علم والده أبو قحافة برحيله وكان لا يزال مُشركًا، وكان كفيف البصر جاء إلى بيته وقال : "والله إني لأراه فَجعكم بماله بعد أن فجعكم بنفسه، فقالت : كلّا يا أبت، إنه قد ترك لنا مالاً"، ثم أخذت حصى ووضعته في الكوّة التي كانوا يضعون فيها المال وألقت عليه ثوبًا، وأخذت بيد جدّها وقالت : "انظر كم ترك لنا"!. والموقف الذي اشتهرت به حملُها الزاد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طريق الهجرة، ولما أرادت أن تربط المِزْوَد لم تجد خَيطًا مناسباً، فجاءت بنطاقها فشقَّته نصفين، وربطت المزود بأحدهما وربطت السقاء بالآخر، فسُمّيت (ذات النطاقين)، ودعا لها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أن يبدلها الله بهما نطاقين في الجنة. عاشت السيدة أسماء رضي الله عنها حياةً صعبة مع زوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، إذ كان فقيراً لا يملك غير فرسه، وكان في طبعه شدة، وكان يغار عليها، فكانت السيدة أسماء تعتني بالفرس وتُعلفه وتَدُق النَّوى وتحمله على رأسها مسافةً طويلة من أرض الزبير، وكان من عظيم عنايتها بزوجها

وصبرها معه وتقديراً له، أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيها وهي تحمل النَّوى فأراد أن يحملها على دابته تخفيفًا عنها، لكنها اعتذرت له لما كانت تعلمه عن زوجها من غِيرةٍ عليها، فأخبرت الزبير فقال لها : "واللهِ لحَمْلُكِ النَّوى كان أشدَّ عليَّ من ركوبِك معه". وكانت من شِدَّة ورعها أنها حين قدمت عليها أمها وهي لا تزال على الشِّرك وأحضرت لها بعض الهدايا لم تقبلها، حتى سألت النبي قائلة له : "إنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وهي راغبة[1] أفأصِلُها؟ فقال لها صلى الله عليه وسلم : "نَعَمْ، صِلِي أمَّكِ"[2]، ولها أيضًا رضي الله عنها مواقف نبيلة تدلُّ على صدقها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فضربت لنا أروع الأمثلة في قوة العزيمة والشجاعة والكرم والعطاء والصبر والتضحية، فعاشت حياتها على هذا الحال حتى وافتها المنيَّة وهي بعمر المائة عام، تتحمل كلّ المشاق والصعوبات التي واجهتها، راضيةً بقضاء الله وقدره، لتترك لنا القدوة الحسنة في كل ما عاشت وعاصرت في حياتها. انظرن أيها الأخوات إلى حياة هذه السيدة العظيمة، انظرن أيها الفتيات صغيرات السِّن كيف التَديُّن الحقيقي، ومع الأسف الشديد عندما ننظر إلى حال فتيات المسلمين الآن نجد أن كثيراً منهنَّ تأثَّروا بالغرب وبحياة الغرب وبلباس الغرب، ويقتدون بالمُمَثِّلات وعارضات الأزياء، وهذا كلَّه بعيد عن منهج الله الذي ارتضاه للمرأة المسلمة، فنرشدهم إلى العِفَّة وإلى التدّين الحقيقي وإلى العمل في الدعوة مع غيرهُنَّ من الفتيات، وأيضًا مع أقاربهن، ونرشدهم إلى الصبر مع أزواجهنَّ مهما كانت ظروفهم، وإلى التربية الصحيحة الإسلامية لأبنائهنَّ وبناتهنَّ.

المبحث الثالث : اهتمام النبي الكريم بمشاركة الشباب في القيام بمصالح المجتمع.

وهذا المبحث غايةٌ في الأهمية، لأنه غاب عن مجتمعنا في العصر الحالي، وغاب عن كثير من الناس وأكثرهم أولياء الأمور، إذ ما ينظر كثير من الآباء إلى أبنائهم الشباب نظرة قاصرة عن سِّنه وفكره، ويعامله معاملة الطفل الصغير، ونوضِّح في هذا المبحث أهمية مشاركة الشباب في القيام بمصالح المجتمع لِعلوِّه وَلِترَقِّيه، ونوضِّح أهم الأدوار للشباب، ولأي إنسان يستطيع من مكانه أو منصبه أن

(١) راغبة (أي غير مسلمة).

(٢) رواه البخاري.

يُشارك الشباب في هذا الجانب.

وأودُّ أن أبدأ حديثي بقصة الصحابيِّ الجليل الشاب البطل المغوار "سفير الإسلام" سيدنا (مُصعب بن عُمير)، أحد السابقين إلى الإسلام، والمثابرين لنشره بين الناس، وأُطلق عليه أيضـًا لقب "المُقرئ"، لتعليمه سُكَّان المدينة المنورة قراءة القرآن الكريم. أسلم ابن عميراً سراً في دار الأرقم؛ خوفـًا من قومه وأمِّه (خناس بنت مالك بن المضرب العامرية)، التي كانت تتمتع بقوة شخصية فذَّة، فخشيَها مصعب، وقرَّر أن يكتم إسلامه حتى يقضي الله أمراً، ولمَّا علمت والدته بذلك حبسته أملاً في ردِّه عن دينه، لكنَّها واجهت إصـراراً كبيراً منه على الإيمان، فقرَّرت إخراجه وحرمانه من المال. قبل الإسـلام اشـتهر مصـعب بن عمير بجماله، وتأنُّقه، وارتدائه أفضـل الملابس وأغلاها، وتعطُّره بأجمل العطور. بعد إسلامه، هاجر ابن عمير إلى الحبشة عندما اشتدَّ الأذى على الصحابة رضوان الله عليهم من المشركين، ورجعوا إلى مكة بعد ذلك، ثم هاجروا مرةً أخرى إلى الحبشة وكان مصعب أيضـًا معهم، ترك مصعب نعيم الدنيا وخرج من النعم الوافرة التي كان يعيش فيها مؤثراً الفاقة، وأصـبح الفتى المُعَطَّر المتأنق لا يُرى إلا مرديـًا أخشن الثياب يأكل يومـًا ويجوع أيامـًا، وقد بصره بعض الصحابة يرتدي جلبابـًا مُرقَّعـًا باليـًا، فحنوا رؤوسهم وذرفت عيونهم. اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون أول سفير له وأول سفير في الإسلام، فبعثه إلى المدينة المنورة، يُفقه الأنصار ويعلمهم دينهم، ويدعو الجميع إلى الإسلام، ويُهيِّأ المدينة ليوم الهجرة، مع أنه كان هناك من يكبره سِـنًّا وأقرب للرسـول منه، ولكن الرسـول اختار مصعب، وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة، ويُلقي بين يديه بمصير الإسلام في المدينة التي ستكون دار الهجرة، وهذا هو ما نتحدثُ عنه ألا وهو (مشاركة الشباب في مصالح المجتمع وإعدادهم لتحمُّل المسؤولية) وهذه من فطنته صلى الله عليه وسلم، فاقتداءً بما فعله صلى الله عليه وسلم، يجب علينا أن نُشارك الشباب في مصالح الإسلام والمسلمين، وألَّا نُسفِّه من آرائهم ولا نُحقِّر من شأنهم، لأنهم شـريان الحياة وقادة المسـتقبل، وأن نُعطيهم الحرية في التعبير عن آرائهم، وسـماع المُشـكلات التي يواجهونها، والعقبات التي تقفُ أمامهم، لنسـاعدهم في تجاوز هذه العقبات، وأيضـًا نتوجَّه إليهم بالنُّصـح والإرشـاد، والأهم كما ذكرنا أن نعطيهم الفرص لكي يعملوا وحدَهم، ونصـبر عليهم، وألَّا

نُحبطهم فيما يفعلوه وإن أخطئوا، بل نعالج الخطأ بدون تجريح أحد منهم. لقد حمل مصـعب الأمانة مُسـتعينـًا بما أنعم الله عليه من عقلٍ راجح وخلق كريم، ولقد غزا أفئدة أهل المدينة بزهده وترفُّعه وإخلاصه، حتى دخلوا في دين الله أفواجـًا.

وكما تحدثنا أن هذه كانت من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يستخدم كثيراً من الشباب في مهام كثيرة، وكان يُشـاركهم في كثير من الأمور التي تسـاعد على بناء المجتمع الإسـلامي في ذلك الوقت. ولنذهب إلى قصة الصحابي الجليل الشاب سيدنا (معاذ بن جبل). وذاك هو الصحابي الذي أقسمَ له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال (والله إني لأحبك)، وقال أيضـًا عنه، (أعلمُ أُمتي بالحلال والحرام: معاذ بن جبل). لما أشـرَقَت جزيرة العرب بنور الهدى والحق، كان الغلام اليَثْربيُّ معاذ بن جبل فتى يافعـًا، وكان يمتاز من أترابه بحدَّة الذكاء، وقوة العارضـة، وروعة البيان، وعُلُوِّ الهمة. أسـلم الفتى معاذ بن جبل على يدي الداعية المكّي مصـعب بن عمير، وفي ليلة العقبة امتدَّت يدُهُ الفتيَّةُ فصـافحت يد النبي الكريم وبايعته، فقد كان معاذٌ مع الرهط الاثنين والسـبعين الذين قصـدوا مكة ليسـعدوا بلقاء رسـول الله، ويَشـرُفوا ببيعته، ولما قدم الرسـول الكريم على المدينة مهاجراً، لزمه الفتى معاذ بن جبل ملازمة الظلِّ لصـاحبه، فأخذ عنه القرآن، وتلقَّى عليه شـرائع الإسـلام، حتى غدا من أقرأ الصحابة لكتاب الله، وأعلمهم بشرعه. "وروى أبو مسـلم الخولانيُّ[1] قال : أتيتُ مسجد دمشق؛ فإذا حلقةٌ فيها كهولٌ من أصـحاب محمدٍ صـلى الله عليه وسـلم، وإذا شـابٌّ فيهم أكحلُ العين برَّاق الثنايا، كلَّما اختلفوا في شـيءٍ ردُّوه إلى الفتى؛ فقلتُ لجليسٍ لي : من هذا؟ فقال : معاذ بن جبل." وهذا هو النبي الكريم صـلى الله عليه وسـلم يرى جُموع قريش تدخل في دين الله أفواجـًا بعد فتح مكة، ويَشـعر بحاجة المسلمين الجُدُد إلى مُعلِّم كبير يُعلمُهُم الإسلام، ويُفقههم بشرائعه، فيعهد بخلافته على مكَّة لـ (عَتَّاب بن أُسَيد)، ويستبقي معه معاذ بن جبل ليُعلِّم الناس القرآن ويُفقههم في دين الله. فشارك الحبيب صـلى الله عليه وسـلم الشـباب في الخلافة وفي تعليم الناس، ولم ينظر لصـغر سِّـن معاذ، بل نظر إلى حرصـه على العلم والتعلم وعلوّ همته، فشـاركه في أمور المجتمع المكّي ليسـتفيد منه الناس. ولمّا

(١) أبو مسلم الخولاني : هو أحد كبار التابعين، وهو من اليمن.

جاءت رسُل ملوك اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تُعلنُ إسلامها وإسلام من ورائها، وتسأله أن يبعث معها من يُعلِّمُ الناس دينهم، انتدب لهذه المُهمة نفراً من أصحابه وأمَّر عليهم معاذ بن جبل رضي الله عنه. وأوصاه صلى الله عليه وسلم قبل أن يذهب إلى اليمن وقال له :"إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ"(١).

ولم يرى سيدنا معاذُ بن جبل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ذهب هذه المرة إلى اليمن، وهذا ما قد حدث بالفعل عندما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يودِّع بَعثَةَ الهدى والنور هذه... ثم قال له رسول الله : (يا مُعاذ إنَّك عسى ألَّا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلَّك أن تَمُرَّ بمسجدي وقبري.)، فبكى معاذ جزعًا لفراقِ نبيِّه وحبيبه محمد صلوات الله عليه، وبكى معه المسلمون. وتلك هي المشاعر التي تَرَبَوْا عليها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وتلك هي التضحيات الكبيرة التي قذفها الله في قلوب هؤلاء الرجال، وذَهب مُعاذٌ مُلبيًّا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، مُحتسبًا أجره عند الله عز وجل. تلك هي التعاليم النبوية التي أخرجت من الشباب قادة أُمم، والتي جعلت منهم علماء ربَّانيِّون ومُجاهدون مُضَحِّيون في سبيل الله تعالى وفي سبيل نشر دينه في الأرض وإعلاءً لكلمة التوحيد.

الصحابيِّ الجليل الشابّ (أسامةُ بن زيد) : "إنَّ أبا أُسامةَ كان أحبَّ إلى رسول الله من أبيك، وكان هو أحبّ إلى رسولِ الله منك"، (من كلام الفاروق لابنه). وفي السنة السابعة من النبوة قبل الهجرة جاءت البشرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن "أُم أيمن"، وضعت غُلامًا، ففرح به صلى الله عليه وسلم فرحًا شديداً، وأشرق وجهُهُ الكريم بالبهجة. فمن يكون هذا الغلام الذي أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كُلَّ هذا السرور؟! إنه "أسامة بن زيد". وكان كلَّ هذا السرور والفرح بهذا المولود لمنزلة أبويه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُمه هي "أُم أيمن، بركة الحبشية" التي كانت مملوكةً عند أُمِّه

(١) رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

صلى الله عليه وسلم، فربّته في حياتها، وحَضَنَتْه بعد وفاتها، ففتح عينه على الدنيا وهو لا يعرفُ لنفسه أُمًّا غيرها، وكان كثيراً ما يقول : "هي أُمِّي بَعدَ أُمِّي، وبقيَّةُ أهلِ بيتي". أمَّا أبوه فهو "حِبُّ رسول الله" زيد بن حارثة، وابنه بالتَّبَنِّي قبل الإسلام، وصاحبُهُ وموضع سِرِّه. وقد فرح المسلمون أيضًا بمولد أسامة بن زيد كما لم يفرحوا بمولودٍ سواه، فأطلقوا عليه لقَب : "الحِبَّ وابنُ الحِبِّ". ولمَّا بلغَ أسامة بن زيد أشُدَّه، بدا عليه مِن كريم الشمائل وجليل الخصائل ما يجعله جديراً بحُبِّ رسول الله له. فقد كان ذكيًّا حادَّ الذكاء، شجاعًا خارق الشجاعة، حكيمًا يضعُ الأمور في مواضعها، تقيًّا ورعًا. ففي يوم أُحُد جاء أسامة بن زيد مع نفرٍ من صبيان الصحابة يُريدون الجهاد في سبيل الله، فأخذ الرسول منهم مَن أخذ، وَرَدَّ منهم مَن ردَّ لصغر أعمارهم، فكان في جملة المردودين أسامة بن زيد، فَتَولَّى وعيناه الصغيرتانِ تفيضان من الدَّمع حَزَنًا أَلَّا يُجاهد تحت راية رسول الله. وفي غزوةِ الخندق، جاء أسامةُ بنُ زيد أيضًا ومعه نَفَرٌ من فتيان الصحابة، وَجَعَلَ يَشُدُّ قامَتَه إلى أعلى لِيُجِيزه رسول الله، فَرَقَّ له النبيُّ صلوات الله عليه وأجازه، فحمل السيف جهاداً في سبيل الله وهو ابن خمس عشرة سنة.

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة، أمر الرسول الكريم بتجهيز جيش لغزو الروم، وجعل فيه أبا بكرٍ، وعمر، وسعد بن أبي وقَّاص، وأبا عبيدة بن الجرَّاح، وغيرهم من كبار الصحابة، وأَمَّرَ على الجيش أسامة بن زيد، وهو لم يُجاوز العشرين بعد.

وأمره أن يُوطِيءَ الخيل تخوم "البَلقاءِ" و"قلعة الداروم"، القريبة من غَزَّة من بلاد الروم. وفيما كان الجيشُ يَتَجَهَّز، مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما اشتدَّ عليه المرضُ، توقف الجيشُ عن المسير انتظاراً لما تُسفر عنه حالُ رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ما لبث أن فارق الرسولُ الحياةَ، وتَمَّت البيعةُ لأبي بكر، فأمر بإنفاذ بَعثِ أسامة. ورفض الصِدّيق رضي الله عنه أن يُغيّر إِمْرَةَ الجيش، واستبقى أسامة بن زيد مع أن فئة من الأنصار طلبت أن يُولِّي رجُلاً أقدم سِنًّا من أسامة، لكن لم يلتفت إلى هذا الرأي، وتَمَسَّك بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم.

واهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب لم يكن لفئة بعينها فقط، أو بعض الشباب دون البعض الآخر، بل هذه كانت حياته وتعاليمه لكلِّ الشباب، وكان يُشارك جميع الشباب ويَمنحهم الفرصة وهو

على ثقة بهم.

ويدلُّ على هذا ما رواه لنا الصحابيُّ الجليل (مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ)[1]: قال : "أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ[2]، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ"[3].

فانظر أولاً حرص الشباب على أنهم يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتركوا بلدهم وأهلهم، ويأتون ليتعلَّموا العلم ويقيموا عنده صلى الله عليه وسلم، وانظر إلى حِلم النبي ورحمته وَرِقَّته صلى الله عليه وسلم، فبعد عشرين ليلة أمرهم رسول الله أن يرجعوا إلى أهلهم، وكَلَّفهم بهمة عظيمة، ألا وهي تعليم الناس أمور دينهم، ويؤخذ من هذا الحديث عدةَ فوائد :

١ - حرص الإنسان على اختيار الصحبة الصالحة. وهذا مأخوذ من قوله : (أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ).

٢ـ- علوُّ الهمّة في طلب العلم وقطع المسافات من أجله.

٣- حِرص وصبر المُعلِّم على من يُريدون العلم من طُلَّابه. وهذا كلَّه مُتَمَثِّل في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤ - مشاركة الشباب في القيام بتعليم الناس ووعظهم وإرشادهم لما فيه الخير لدنياهم ولآخرتهم. وهذا مأخوذ من قوله : ("ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ).

---

(١) (مالك بن الحويرث) : هو ليثي سكن البصرة ومات بها، وله أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) (شَبَبَةٌ متقاربون) : أي متقاربون في السِّن، وشبة جمع شاب.

(٣) (رواه البخاريُّ ومسلم)، وهذا لفظ مسلم.

الفصل الثالث

(النظرة التكاملية للشباب في الإسلام)

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: الشباب ومسؤوليته من منظور الإسلام.

ومسؤولية الشباب لا تقل أهمية عن مسؤولية الكبار والشيوخ، فالشباب لهم دور أساسي في بناء المجتمع وإعداده ونشأته النشأة الصحيحة السليمة، وقد اهتم الإسلام بهذا الجانب، وأخذت هذه المرحلة من اهتمامات السلف ما تستحق العناية والاعتبار، ونستخلص بعض الصور من اهتمامات الأوائل كتلك التي رسمها المُحَدِّث الكبير: (ابن شهاب الزهري) عندما قال "لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به أمر، واستعصى عليه الحَلُّ، دعا الشباب واستشارهم، يبتغي حِدَّةَ عقلهم"[1].(١). ولعلَّ هذا القول جاء في مُخاطبة معشر الشباب في أحد المواقف التي لها تاريخ.

وقال ابن الجوزي: "إن الشباب أمانة عند آبائهم، وإن قلوبهم كجوهرة قابلة لكلِّ نقش، فإن عوَّدوهم آبائهم الخير نشأوا عليه، وإن عودوهم الشر نشأوا عليه". ولذلك وجبت رعاية الشباب رعاية شمولية، لأنهم كما تقول الحكمة "التَعلُّم في الصِّغر كالنقش على الحجر، وما ينبغي أن يُنقش على صفحات قلوب الأجيال الصاعدة هو مكارم الأخلاق.

ولذلك فإن الشباب لابدَّ له أن يعرف وبالضرورةِ المُلحّة، أن من مصلحته أن يغتنم صحته قبل سقمه، وفراغه قبل شغله، وشبابه قبل هرمه، وأيضـًا عليه أن يعرف بأنَّ الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، كما قال الحكماء، وعليه كذلك أن يغتنم ما يُتاح له من الفرص، ويفسح له من المجالات تحسُّبـًا لاحتمالات المستقبل، وإلَّا اغتنمها الآخرون على حسابه.

كما على الشباب أن يتحرَّى الصدق والإخلاص والاجتهاد في حياته الخاصة والعامة، فإن من شأن

(١) السنن الكبرى للبيهقي.

ذلك أن يحمله بالفضائل، ويُقربه إلى قلوب الناس ونيل رضاهم وتقديرهم له، وبالتالي عليه من قبل ومن بعد بالتَّخلُّق بالخُلُق الحسن، والتمسُّك بالدين، فإن من أحب النَّاس إلى الله تعالى الشباب الذي نشأ في عبادته سبحانه وتعالى، ولا يُمكنه أن يسموا إلى هذه المكانة إلَّا إذا تَحنَّب رفقة السوء، مُسترشداً بالحكمة التي تقول : "إِيَّاكَ ورفيقُ السُّوء فإنَّك به تُعرَف". واعرض أيُّها الشاب عن قراءة أدب الانحلال، وفكر وثقافة وأفلام الخلاعة والتَّبرُّج والاستهتار، وكلُّ الكتابات والقراءات والمشُاهدات والأشياء التي تُهيِّئ للشباب في عالم الخيال حياة لن يُحققها في الواقع، وعندما ينقاد وراء الأوهام الخيالية يواجه الواقع ويعتقد بأن الجميع ينهج منهجه، والكلَّ يسلك سلوكه، وأن الدنيا في نظره كلها هكذا.

ونُوضِّح هنا بعض العوامل التي من أجلها قد يصلُ الشاب إلى معرفة المسؤولية الكبرى التي عليه، والعبء الثقيل الذي يحمله على ظهره تجاه دينه ووطنه وتراثه.

العامل الأول : ينبغي للشباب أن تعرف الغاية التي من أجلها خُلق الإنسان لقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[1]، فالعبودية لله هي عبودية مُطلقة، ومعناها الإخلاص لله في النية والقول والعمل، ومعناها الخضوع لله والتزام منهجه، ومعنى العبودية إدراك المسلم للمهمة التي كلَّفه الله بها، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على حفظ هذا الدين وحفظ تراثه العظيم.

العامل الثاني : معرفة الأخطار المُحدقة ببلاد الإسلام من مُخططات شيطانية مصدرها الصهيونية والماسونية وحركات أخرى بكافة أشكاله تستهدف إفساد المجتمعات الإسلامية، وإسقاط التراث الإسلامي، ومحو العقيدة الإسلامية، وتغييب الشباب عن دينهم عن طريق إفشاء الفاحشة، واستخدام المرأة كهدف للدعوة الإباحية.

العامل الثالث : تفاؤل الشباب المسلم بالنصر وعدم اليأس، فقد أصبح حال كثيرٌ من المسلمين لا يُرضي الله ورسوله، وواجب الشباب المسلم العودة لكتاب الله وسنةَ رسوله، والإيمان المُطلق بالله

(١) سورة الذاريات آية (٥٦)

وأنه ينصرُ من ينصره.

العامل الرابع : أن يتأسَّـى الشـباب بأصـحاب القدوة في التاريخ مثل الذين ذكرناهم آنفـًا، وأولهم وأشرفهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

العامل الخامس : أن يعرف الشـباب فضـل الدعوة والداعية، ومنزلتهما الرفيعة لقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)[1](٢).

العامل السادس : معرفة الشـباب الأسـلوب الأقوم في التأثير على الآخرين، ولذلك يجب دراسـة البيئة، ومفهوم الدعوة، ومعرفة مواطن الضـلال والانحراف، واختيار الأسـلوب المناسـب لعقلية الناس ومستوى تفكيرهم ومدى استجابتهم.

العامل السابع : أن يؤمن الشاب بالقضاء والقدر فإن ذلك يُحرره من الخوف والجزع ويُشحنه بالشجاعة والإقدام.

ولا شك أن استيعاب هذه العوامل السبعة لتكوين وإنضاج شخصية الشاب المسلم الداعية صاحب العقيدة الصـحيحة، والأخلاق الرفيعة، لها فوائد وثمرات تتمثَّل في الإيمان والإخلاص الصـادق والعزيمة المتينة.

إن جيل الشباب المؤمن المسلم مُطالب في وقتنا الراهن بالقيام بدوره الحضاري، وإنقاذ بلاد الإسلام من ظلمات المادية الطاغية والإلحاد والضـلال، وأن دور الشـباب وجهادهم هو قوة فعَّالة يُمكن أن تصنع الأعاجيب، وتُحقق العزة والكرامة، وتضع الأمة الإسلامية في طليعة الأمم المتقدمة الراقية.

المبحث الثاني: التنشئة الإسلامية للشباب وأثرها على الجانب الأخلاقي والثقافي.

ومن المعلوم بالضـرورة أن الإسـلام لم يهتم إلَّا بالشـباب فقط وأهمل بقيَّةَ الأعمار، بل اهتَّم بجميع مراحل عُمْر الإنسان من حيث وضَعته أُمُّه إلى أن يلقى ربَّه، وطوال تلك هذه الفترات من عُمْر الإنسان وهو ينتقل من مرحلةٍ إلى أُخرى، يُركِّزُ الإسـلام على تربية المسـلم تربية صـحيحة سـليمة عقائديـًا وأخلاقيـًا وثقافيـًا، ولقد اهتم القرآن بكلِّ هذه الجوانب، وسار عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(١) سورة آل عمران آية (١١٠).

تربيته للصحابة الكرام.

إن التغيير الذي قاده النبي صلى الله عليه وسلم بمنهج الله تعالى بدأ بالنفس البشرية، وصنع منها الرجال العظماء ثم انطلق بهم ليُحدث أعظم تغيير في شكل المجتمع، حيث نقل الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن التخلُّف إلى التقدُّم، وأنشأ بهم أروع حضارة عرفتها الحياة[١].

لقد قام النبي صلى الله عليه وسلم –بمنهجه القرآني– بتغيير في العقائد والثقافة والأفكار والتصور، وعالم الأخلاق في نفوس أصحابه، فتغَّير ما حوله في دنيا الناس، فتغيَّرت المدينة، ثم مكة، ثم الجزيرة، ثم بلاد فارس والروم، في حركة عالمية تُسبِّح وتذكر خالقها بالغدو والآصال[٢].

التنشئة الإسلامية الأخلاقية للشباب وربطها بالعقيدة:

إن الأخلاق الرفيعة جزء مهم من العقيدة؛ فالعقيدة الصحيحة لا تكون بغير خلق، وقد ربَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته على مكارم الأخلاق بأساليب متنوعة، ومازالت هذه الأحاديث تُربينا أيضًا. فعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤمِن يَومَ القِيَامَة مِنْ حُسْنِ الْخُلُق، وَإِنَّ الله تَعَالى لَيُبْغِضُ الْفَاحِش الْبَذيء"[٣]. وسئل رسول الله عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ فقال : "تَقْوى الله، وَحُسْنُ الْخُلُق"، وسئل عن أكثر ما يُدخل الناس النار؟ فقال : "الْفَمُّ والْفَرْج"[٤].

إن الأخلاق ليست شيئًا ثانويًّا[٥] في هذا الدين، وليست محصورة في نطاق مُعيَّن من نطاقات السلوك البشري، إنما هي الترجمة للاعتقاد والإيمان الصحيح؛ لأن الإيمان ليس مشاعر مكنونة في داخل الضمير فحسب، إنما هو عمل سلوكي ظاهر كذلك، بحيث يحقُّ لنا حين لا نرى ذلك السلوك العملي، أو حين نرى عكسه، أن نتسائل أين الإيمان إذن؟ وما قيمته إذا لم يتحول إلى سلوك؟.

---

(١) من كتاب (نفوس ودروس في إطار التصور القرآني) لتوفيق محمد سبع.

(٢) من كتاب (السيرة النبوية) للدكتور علي محمد الصلابي.

(٣) حسنٌ صحيح : رواه الترمذي في سننه.

(٤) حسنٌ : رواه ابن ماجه، والبخاري في الأدب المفرد.

(٥) ثانويًا : أي ذو مرتبة ثانية في الأهمية.

ولذلك نجدُ القرآن الكريم يربط الأخلاق بالعقيدة ربطًا قويًا، والأمثلة على ذلك كثيرة[1].

٢٣

إن الأخلاق في التربية الإسلامية شيء شامل يعم كلّ تصرفات الإنسان، وكلّ مشاعره وتفكيره. فالصلاة لها أخلاق، هي : الخشـــوع، والكلام له أخلاق، هي : الإعراض عن اللغو، والتعامل مع الآخرين له أخلاق، هي : التوسط بين التقتير والإسراف، والحياة الجماعية لها أخلاق، هي : أن يكون الأمر شورى بين الناس والغضـــب له أخلاق، هي : العفو والصـــفح، وهكذا لا يوجد شـــيء واحد في حياة المســـلم ليست له أخلاق تُكيِّفه، ولا شيء واحد ليست له دلالة أخلاق مُصاحبة.

إذن نقول : أن الأخلاق جزءٌ من هويَّة أي أُمَّة، فلا يُمكن أن تنهض أمة من الأمم دون أن تهتم بالتربية الخُلُقية للنشء؛ إذ أن معيار البقاء والنهضة في أخلاقها، كما قال الشاعر :

إِنَّمَا الأُمَمُ الأخلاقُ ما بقيت فإن همُ ذهبتْ أخلاقهم ذهبوا.

أهمية الثقافة الإسلامية وأثرها في تنشئة الشباب :

لقد ابتعد العالم الإسلامي عن المناهج الإسلامية التي اتبعها علماء المسلمين خلال العصور الماضية، فقد نصَّ المُربُّون المسلمون الأوائل الذين ملأت شهرتهم العلمية الآفاق، وسار على نهجهم التربوي الأجيال العديدة على أن بداية التعليم ينبغي أن تكون من سن الرابعة للطفل : بحفظ ما تيسَّر من القرآن الكريم، ومن أحاديث الرســـول صـــلى الله عليه وســـلم، ومن الحكم المأثورة والشـــعر الرقيق اللطيف البليغ، وبعد سن التمييز -- السابعة فما فوق -- تبدأ بدايات العلوم الأخرى.

ومنذ أن أخذ العالم الإســـلامي المناهج الغربية والشـــرقية ابتعدوا عن المنهج الإســـلامي، وربما وصـــل الطالب والطالبة إلى المرحلة الجامعية وهو لا يدري أســـاســـيات الإســـلام، التي لا يصـــح إســـلامه إلا بمعرفتها نظريًا، وتطبيقها عمليًا. لذا وجب علينا أن ننشـــر وبشَـــتَّى الوســـائل؛ (مفهوم الثقافة الإســـلامية وأهميتها) :

(١) انظر آيات سورة (المؤمنون -- الآيات : ١ -- ١١)، وسورة (الأنعام -- الآيات : ١٥١ -- ١٥٣)، وسورة (الإسراء -- الآيات ٢٣ -- ٣٨) وغيرها.

١ – **الانتماء إلى الإسلام** : إن انتمائنا إلى الإسلام يفرض علينا حداً أدنى من الثقافة، لا يصحُ إيمان المسلم ولا يدخل دائرة الإسلام إلا بمعرفتها معرفة يقينية، وتطبيقها تطبيقًا عمليًا. فأركان الإيمان الستة : "الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره" لا يصح إيمان المسلم إلا إذا علمها، واعتقدها اعتقاداً جازمًا. وأركان الإسلام الخمسة : "الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحَجِّ البيت من استطاع إليه سبيلا" لا يتم إسلام المسلم إلا بمعرفتها وتطبيقها تطبيقًا عمليًا. بالإضافة إلى معرفة الأخلاق الحميدة التي دعا الإسلام إلى التحلِّي بها، والصفات والانحرافات التي نهى الإسلام عنها. كل ذلك مطلوب من المسلم أن يعرفه؛ حتى يكون مسلمًا مُحققًا الانتماء لدينه، والانتماء للإسلام يفرض هذه الثقافة لتتحدد معالم الشخصية الجديرة بالإسلام.

٢ – **الحصانة الفكرية** :

نحن نعيش في عصر أُزيلَت فيه الحواجز الزمانية والمكانية، ووصلت الأفكار والمعلومات إلى كل مكان شئنا أم أبينا، والانفجار المعرفي يلف العالم بتياراته المختلفة، وكل صاحب دعوة أو مذهب أو فكرة يدعو إليها بأساليب جذَّابة لافتةً للنظر، فإن لم يكن المسلم – وخاصة الشباب – على دراية بالموازين التي تُعرِّفه الخطأ من الصواب، وتُميِّز له بين الحق والباطل، وبين ما يقبله الإسلام وما يرفضه، إن لم يكن على معرفة بهذه الموازين والمقاييس قد ينزلق وراء دعوة أو مذهب يُخرجه عن الإسلام وهو لا يدري. فالثقافة الإسلامية تُعطيه هذه المقاييس، وهذه الموازين التي يقبل بها الأفكار أو يرفضها، وتُحصِّنه فكريًا تجاه تلك الدعوات البرَّاقة، والتي تدسُّ له السُّم في الدَّسَم في كثير من الأحوال.

٣– **المسلم إيجابي فعَّالٌ في مجتمعه** :

إن المسلم خُلق لمهمة عظيمة، وهي أن يكون خليفة لله سبحانه وتعالى على هذه الأرض؛ ليُعمِّرها وفق منهج الله، وإعمار الأرض يحتاج إلى تضافر جهود الشباب والأفراد، من قبائل وشعوب هذه الأمة. هذا الاستخلاف والعمران، يحتاج إلى معرفة المنهج، ومقوِّمات تحقيق. إن إدراك هذه المهمة

يتطلب من المسـلم معرفة سـنن الله في الكون، وفي المجتمعات، وفي الناس؛ لكي يكون ذا دور إيجابي فعَّالٌ في مُجتمعه، قال تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)[1]. ويقتضـي أيضـًا معرفة التاريخ الإنسـاني والحضـارة البشـرية، وسـنن الله في نشـوئها وارتقائها، أو انحدارها وزوالها، والقيم التي تساعد في كل ذلك، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)[2]. ولثقافة الشـباب المسـلم الأثر الكبير في أداء هذا الدور، ألا وهو (البناء الثقافي في المجتمع الإسلامي).

المبحث الثالث : دور الشباب في المحافظة على التراث الإسلامي.

إنَّ أصالة الأمة تُقاس بما خلَّفه لها أسلافها من تراث، وتتضح مكانتها في غابر الأزمان بما شيَّدته أيادي أجدادها من حضارة، وما أبدعوا فيه من فن، وما أحرزوه من انتصار في ميدان الفكر والعلم، وما كسبوه في ميدان الجهاد، وما اتصفوا به من حنكة ودهاء وحسن سياسة.

ولا شكَّ أن أي أمة من الأمم تريد بناء نفسها، وإعادة ما كان لأسلافها من مجد وحضارة، وما كان لها من مكانة بين أمم العالم، لا شك أنها مضطرة في سبيل الحصول على ذلك إلى المحافظة على ما خلَّفه لها الأسلاف من تراث، والاعتناء به، والاستفادة منه، إذ هو سُلَّم وصولها قمة ما غبر لها من مجد، وما تقدم لها من حضارة ومكانة بين أمم الأرض.

والتراث في ميدان العلم سواء في ذلك علوم الدين والدنيا يقف في مقدمة التراث، ويحتلَّ المرتبة الأولى فيه، إذ العلم هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها بناء الأمة، ويعلو به شأنها، وبمقدار ما تكسبه من علم ترتفع في مدارج السمو، وبمقدار ما تفقده منه تنحطُّ في دركات الجهل والشقاء..

- ومسؤولية الشباب تجاه التراث تكمن في عدة أمور منها:

١- إدراك وفهم التراث فهمـًا صحيحـًا:

(١) سورة التوبة (آية ٧١).

(٢) سورة الحجرات (آية ١٣).

وهذا يحدث بأمرين اثنين، الأول جهود العلماء لتربية وتعليم الأجيال الصاعدة من الشباب المسلمين، والتوضيح لهم أهمية كُتب التراث، وشرحها لهم شرحًا واضحًا، وتوضيح أيضًا الفَرْق بين الدين والتراث.

وثانيًا جهود الشباب نفسُهم لفهم التراث وقبولهم لأهميته.

ونوضَّح هنا شيئًا مهمًا، أن المشكلة ليست في التراث حتى نسعى لتصحيحها وإنما في كيفية التعامل معه وفهمه، فالثابت عندنا والمُقدَّس هو القرآن الكريم وكلَّ ما صحَّ عن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم،

والمعصوم من البشر هو رسولنا صلى الله عليه وسلم، أما بقية كتب التراث فهي محل للاجتهاد والنظر، لكن مَن المؤهّب ومَن يقدر على النظر فيها بطريقة علمية وموضوعية وسنسمع له؟ وعلماؤنا من السلف الصالح وأئمة المذاهب بشر، يُصيبون ويُخطئون، ولا مانع من نقدهم، ولكن نقداً مبنيًا على أسس العلم الصحيحة والأدوات العلمية التي تساعده على ذلك وباحترام وبإجلال، وليس تطاولاً على أحدٍ منهم، فهذا ليس من شريعتنا.

والبداية كما تحدَّثنا تقوم على تحرير وتحديد مفهوم التراث، الذي هو نتاج العقل وحلقة الوصل بين التراث والشرع، وكثير من العلماء بذلوا جهوداً كبيرة ولم يُقصِّروا عن إدراك الواقع أو فهم الأدلة وتطبيقها على أرض الواقع، ونحن نفخر بهم ونعتز بتراثنا، لأن دورهم ليس محصوراً في العلم الشرعي بل في جميع العلوم.

ولكن مازال عليهم عبءٌ ثقيل تجاه نشر هذه الثقافات لدى التراث الإسلامي، وتصحيح المفاهيم المُختلطة لدى عقول كثير من الناس الذين يفهمون التراث فهمًا خاطئًا وخاصةً الشباب.

٢ـ- الاجتهاد لتعلّم كُتب التراث على أيدي علماء راسخون :

وكما ذكرنا آنفًا عن فضل العلم والتعلُّم، وأنه من أعظم القُرُبات إلى الله تبارك وتعالى، خاصةً العلم الشرعي الذي يختصّ بالوحي الإلهي، والإسلام رغَّب كثيراً في التعلُّم والتعليم، والبحث والتطُّلع وإعمال العقل في المسائل التي تحتاج إلى نظرٍ واستدلال، ولم يغلق الإسلام باب الاجتهاد منذُ أن فُتح

من عصر الصحابة الكرام رضي الله عنهم

بل رغّب في الاجتهاد وقبِلَ النقد في كثير من كتب التراث، لكن بشـرط أن يكون نقداً علمياً صـحيحًا متُأصِّل على قواعد البحث والاجتهاد وإعمال العقل كما تعلمنا من سلفنا الصالح.

ولكي يصـل الإنسـان إلى هذه المرتبة من الاجتهاد والنقد لابد أن يتعلم علوم الشـريعة بجميع فروعها، وأن يتعلَّم كُتب التراث ويدرسـها دراسـة منهجية على أيدي علماء راسـخون، ولا يكون تعلُّمه مباشـرةً من الكتب فهذا خطأ، إذ لابد من شـيوخ وعلماء يتعلم على أيديهم، لكي يكون صـوابه أكثر من خطئه، ولكي لا يختلط عليه المسـائل التي يُقابلها في كُتب التراث مما تُسـبب له مفاهيم مغلوطة، وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الناس ومن طلبة العلم، أنّه يبدأ يتطلَّع ويقرأ ويبحث في الكُتب بُمفرده من غير أن يتلقى على أيدي مشـايخ وعلماء، وبعد ذلك يخرج علينا بأمور ومسـائل وجدها في كُتب التراث، لكنَّه فَهِمها فهمـًا خاطئـًا، ويخرج ويُحدثُ كثيراً من الفتن بين عامةِ الناس والشـباب، وهذا حدث بالفعل، ولكن نقول لابد لمن يُريد أن يتعلَّم العلم الشرعي ويفهم كُتب التراث فهمـًا صحيحـًا أن يتعلّم على أيدي علماء ربَّانيُّون راسـخون في العلم، لكن يفهم التراث فهمـًا صـحيحـًا، وكان العلماء قديمـًا يقولون "لا تأخذوا العلم مِن صُـحُفيّ ولا مِن مُصـحَفيّ"، والصُّـحُفي الذي يقرأ ويبحث ويسـتنبط ويتعلَّم مباشرةً من الكتب من تلقاء نفسه وليس له مشايخ وعلماء، فهذا لا يؤخذُ العلم منه، والمُصحَفيّ هو الذي يتلوا القرآن ويَسمعه الناس في الأماكن العامة أو في المساجد، فهذا أيضـًا لا يؤخذ العلم منه، وقال مُحمد بن سـيرين "إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم"[1]. والشـباب مُطالبون بهذا كلَّه لكي يفهموا التراث فهمـًا صـحيحـًا، ولكي يتعلّموا النقد العلمي السـليم الذي لا يَمسُّ ثوابت الإسلام في شيء، بل يُساعدهم أكثر في الاستنباط والاجتهاد في المسائل التي تحتاج لنظرٍ واستدلال.

٣ـ- العمل على نشر ثقافة التراث وأهميته :

وهذا الجانب هو مسؤولية العلماء من جِهة، ومسؤولية الشباب من جِهة أخرى، لأن ما يَتَمَيَّزُ به الشباب عن كبار السِّـن أنهم مواكبون للعصـر الذي نعيش فيه، وهو عصـر التكنولوجيا المتقدمة، عصـر انتشـار

(١) من كلام الإمام (مسلم) في مُقدمة كتابه (صحيح مسلم).

الأخبار في ثوانٍ معدودة وفي أنحاء العالم، من خلال مواقع الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، لذلك من أهم الخطوات التي اتخذها شيخ الأزهر الشريف (الدكتور أحمد الطيب) أنه أعلن منذُ عِدة أشهر عن انطلاق مِنَصَّة عالمية للتعريف بنبي الرحمة ورسول الإنسانية "محمد صلى الله عليه وسلم"، بأكثر من لغة عالمية، لتقوم بمحاربة التطرف.

ومن هنا نقول أنه لابد أيضـًا أن يقوم الأزهر بعمل مِنَصَّة عالمية بأكثر من لغة تقوم على نشر التراث الإسلامي وأهميته، ومفهومه العلمي، وكيف نُفرِّق بينه وبين ثوابت الإسلام مثل القرآن والسُّنة، وأن يقوم بعمل توعية للمفاهيم الخاطئة التي انتشرت بين الناس عن التراث وكُتب التراث الإسلامي.

وتأتي مسؤولية الشباب كما قُلنا من هذا الجانب، بأنهم ينشروا قيمة التراث الإسلامي، ومفهوم التراث، وقيمة الشباب وعطائهم للدين، وأنهم هم المستقبل الذي سينبني عليه الأجيال الجديدة.

الخاتمة

وتشتمل على خاتمة البحث، والنتائج والتوصيات:

وبعدُ، فهذا ما يسَّــره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضــمنتها فصــول هذا الكتاب، فيما يتعلق "بالشباب والتراث، والنظرة التكاملية للشباب في الإسلام"، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ فله الحمد والمنِّة، وما كان فيه من خطأ فأســتغفر الله وأتوب إليه، والله ورســوله بريء منه، وحسبي أني كنتُ حريصًا أن لا أقع في الخطأ، وعسى أن لا أُحرم من الأجر.

وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا البحث إخواني المســلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه، وأختم هذا البحث بقول الله تبارك وتعالى: "رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَــبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ" (الحشر: ١٠).

- **النتائج:**

١. من خلال ما بحثتُ في كُتب التفسير أن القرآن عالج جميع مشاكل الشباب.

٢. القرآن الكريم نظرته للشباب مُختلفة كُلِّيًا عن نظرة الكُتب السماوية الأخرى.

٣. النبي الكريم كان يُشارك الشباب من الصحابة في الأمور الصعبة مثل ما كان يُشارك الكبار، وهذا يدلُّ على أن الشباب أصحاب عطاءات مثل الكبار.

٤. فترة الشباب هي من أعظم مراحل عمر الإنسان، وأكثرها تأثيراً في المجتمع.

٥. لم يهتم الإسلامُ بالنجاح الآخروي، بل اهتم أيضًا بالنجاح الدنيوي، وَرَبط بينهم ارتباطًا عظيما، ورغَّب في التفوق في الإثنين.

٦. اعتنى كثير من الُمتقدمين في كتب التراث بالشباب وأهميته وعطاءه، لذا وَجب على الشباب العناية بكُتب التراث، التي اعتنى أصحابها بالشباب.

- **التوصيات:**

بعد أن عِشتُ مع هذا البحث وفصوله ومباحثه، واطَّلعتُ على كثير من كُتب التفسير والسّيَر والحديث، ثبت لي أهمية هذه المرحلة من العُمر، وأنها ليست كأيّ مرحلة، وثبت لي خطورتها، وكيفية استغلالها

في طاعة الله ورسوله ونصرة هذا الدين.

لذا أوصي العلماء والباحثون أن يُولّوه عنايةً فائقةً واهتمامًا أوسع، لاستكمال توضيح وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى عقول كثير من الناس عن الشباب والتراث.

المصادر والمراجع

١. صحيح البخاري.

٢. صحيح مسلم.

٣. سنن النسائي.

٤. سنن أبي داود.

٥. سنن الترمذي.

٦. سنن ابن ماجه.

٧. مسند أحمد.

٨. مُسند ابن أبي شيبة.

٩ـ المُعجم الأوسط، للطبراني.

١٠ـ السنن الكبرى، للبيهقي.

١١ـ الجامع الصغير، للسيوطي.

١٢ـ الأدب المُفرد، للبخاري.

١٣ـ التفسير المُنير، للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلي.

١٤ـ صور من حياة الصحابة، للدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا.

١٥ـ السيرة النبوية، للدكتور علي مُحمد الصلابي.

١٦ـ الوسطية في القرآن الكريم، للدكتور علي محمد الصلابي.

١٧ـ نفوس ودروس في إطار التصور القرآني، للدكتور توفيق محمد سبع.

١٨ـــ الثقافة الإسلامية تعريفها ومصادرها ومجالاتها وتحدياتها، للدكتور مصطفى مسلّم والدكتور فتحي محمد الزغبي.

١٩ـ الثقافة الإسلامية محاولة البناء المعرفي، للدكتور محمد بن سرار اليامي.

٢٠ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.

٢١ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني.

٢٢ـ شرح صحيح مسلم، للإمام النووي.

٢٣ـ دراسات قرآنية، لـ محمد قطب.

٢٤ـ منهج التربية الإسلامية، لـ محمد قطب.

٢٥ـ مقال بعنوان : التربية الأخلاقية في الإسلام، للكاتب تيار صلاح.

٢٦ـ مقال بعنوان : الشباب في السيرة النبوية، للكاتب محمد عادل فارس.

٢٧ـ مقال بعنوان : دور الشباب في حمل رسالة الإسلام، للكاتب مصطفى المالح.

٢٨ـ مقال بعنوان : حماية التراث، للكاتبة آلاء صبح.

٢٩ـــ مقال بعنوان : ضـرورة المحافظة على التراث العلمي، للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن علي الربيعة.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخـــص ١١١
مقدمة ١١٣
الفصل الأول(الشباب في القرآن الكريم) ١١٦
المبحث الأول: القرآن الكريم وأثره في تنشئة الشباب. ١١٦
المبحث الثاني: نماذج لدور الشباب من خلال القرآن. ١٢٠
الفصل الثاني (الشباب في السُّنة النبوية المطهرة) ١٢٥
المبحث الأول : عناية السنة النبوية بالشباب. ١٢٥
المبحث الثاني : نماذج لدور الشباب من خلال السُّنة النبوية. ١٢٧
المبحث الثالث : اهتمام النبي الكريم بمشاركة الشباب في القيام بمصالح المجتمع. ١٣٢
الفصل الثالث (النظرة التكاملية للشباب في الإسلام) ١٣٨
المبحث الأول: الشباب ومسؤوليته من منظور الإسلام. ١٣٨
المبحث الثاني: التنشئة الإسلامية للشباب وأثرها على الجانب الأخلاقي والثقافي. ١٤٠
المبحث الثالث : دور الشباب في المحافظة على التراث الإسلامي..... ١٤٤
الخاتمة ١٤٨
المصادر والمراجع ١٥٠
فهرس موضوعات البحث ١٥٢